**الاختلاف النحوي بين مدارس النحو**

يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت171هـ)أول من فتح في اإلعراب ما يمكن تسميته باالحتماالت،إذ نراه يعرض كثيرا ً من األمثلة تحملً وجوها مختلفة إلعـرابـهـا،ُومن ذلك تجويزه في: يازيد الطويل َ والطويل،بالضم والنصب،ومن ذلك قولك: يا هذا زيد، ًو يا هذا زيدا،وعلى هذا النحو كان الخليل يكثر من االحتماالت في وجوه اإلعراب للصيغ واأللفاظة والعبارات كما كان يكثر من التأويل والتخريج حين يصطدم ببعض القواعد التي يستظهرها،وهو في تضاعيف ذلك يحلل

األلفاظ والكالم تحليال ً يعينه على ما يريدمن توجيه اإلعراب وما يريـده من التأويل والتفسير(10).

أما الخالف النَّحوي الذي أخذ طابع المناظرات فقد بدأ عنــد نحــاة الـبصــرة،وأولى البدايات للمناظرات النَّحوية

كانت على يد عبد الله بن أبي إسحاق الحضـرمي (ت117هـ) وتالميذه،فهم الذين فتحوا بابها وعدوا حلقاتها،فكانت مصدرًا

يمد النحو العربي بالعطاء والنماء(11).

من تلك المناظرات التي عقدها ابن أبي إسحاق مع علماء عصـره مناظرته مع بالل بن أبي بردة(12)،ومناظرة ابن

أبي إسحاق ألبي عمرو بن العالء(149هـ)(13)،ومناظـرة ابن أبي إسحاق ليونس بن حبيب البصـري(ت112هـ). عنيونس قال:

مضيت إلى عبد الله بن أبي إسحاق الحضـرمي،فقلت له: كيف تقرأ: (( فإذا برِّق َ البصرُ))القيامة :٧،فقال: فإذا بَرق

البصـر،وفتح الراء،فقمت إلى أبي عمــرو ابـن الـعــالء،فقال: من أين بك؟ قلت: من عند عبد الله بن أبي إسـحـاق الحـضـرمـي،

فسألته كيف ت ِّقرأ: فإذا بر َق البصـر؟ فقال: بَرق البصــر بفتـح الــراء،فقال: أبو عمرو وأين يراد به؟ يقال: بَرقت السماء،

وبَرق النبت،وبَرقت األرض،فأما البصر فبرِّق كما سمعنا(14).

تلك المناظرات تُعد ُّ نماذج أوليَّة للخالف النَّحوي،الذي احتدم بين نحاة المذهب الواحد،وهوالمذهب

البصـري،وهذه المناظرات شاهدة ودليل يمكن من خاللها الوقوف على أوَّليَّات الخالف النَّحوي وبدايات ظهوره الفعلي،

الذي أخذ شكل المناظرات وطابعها،وهو الذي يمثل بداية الصـراعات والنزاعات في المسائل النَّحوية،وهذه كانت مرحلة

تالية للمرحلة األولية للخالف النَّحوي.

9-أوَّليَّاته:

أما أوَّليَّات الخالف النَّحوي بين المذهبين البصـري والكوفي،فيمكن عد بدايته من مناظرة سيبويه(ت112هـ)

والكسائي(ت119هـ) إذ أرجع الدكتور هاني عبد الكريم فخري أوَّليَّات الخالف النَّحوي

لنَّحوي بين المذهبين إلى المناظرة بين

الكسائي وسيبويه في المسألة المعروفة بالمسألة الزنبُوريَّة(15).

وقد انقسم الدارسون املحدثون حول ذلك على فريقين:

1.األول: يرى أن َّ الخالف بدأ بأبي جعفر الرؤاس ي(ت119هـ) والخليل.

(9)انظر:فخري (2229م):المسألة الزنبُوريَّة:23، حيث تطرق هذا الكتاب للخالف النحوي وعوامله ومظاهره، وفصل القول هذا الكتاب في

المسألة الزنبورية جميع جوانبها.

(10)انظر:شوقي ضيف (د.ت):المدارس النَّحوية، شوقي ضيف:114.

(11) انظر:مكرم (1993م):الحلقة المفقودة في تاريخ النحو:111

(12) انظر:الزجاجي (1914م):مجالس العلماء:241ـ242.

(13) نفسه:243.

(14) نفسه:247.

(15) انظر: المسألة الزنبُوريَّة:27.

مجلة مركزجزيرة العرب للبحوث التربوية واإلنسانية ــ املجلد(1)العدد(1)رمضان/1113هـ-مايو/9312م

الخالف النَّحوي: نشأته، أسبابه، مظاهره (131) حسين،أكرم ناصر ناصر

2.والثاني: يرى أن َّ الخالف النَّحوي بدأ بالكسائي وسيبويه.

أما على الرأي األول: فمن العلماء من يرىأن َّ أبا جعفر الرؤاس ي هو مؤسس مدرسة الكوفة،وأنَّه أول من وضع

كتابا ً في النحو،وقد اطلع عليه الخليل وانتفع به(16)،ومن ذلك الحين بدأت مدرسة الكوفة تناظر مدرسة البصرة،وظهرت

أوَّليَّات الخالف النَّحوي على يد الخليل وأبي جعفر الرؤاس ي،ثم اشتدت بين سيبويه والكسائي(17).َّ

وقد ذهب محمد الطنطاوي إلى أنالرؤاس ي أخذ عن أبي عمرو بن العالء،وغيره من علماء الطبقة األولى في

البصـرة،ثم قفل إلى الكوفة واشتغل فيها بالنحو مع عمه معاذ الهراء(ت117هـ)،فتكونت الطبقة األولى من نحاة الكوفة،

ثم صنف كتابه (الفيصل)في النحو،وقد بعث إليه الخليل يطلبه،فأرسله إليه،وأن َّ سيبويه نقل في كتابه عنه كما نقل

عن البصـريين،فإلى الرؤاس ي بدأ النحو في الكوفة دراسـة وتـأليـفًا،فهو رأس الطبقة األولى،وكتابه (الفيصل)أول مؤلف في

النحو،فأصحاب هذا المذهب يرون أن َّ الخالف النَّحوي بدأ على يد الخليلوالرؤاس ي(18).ً

والحقيقة أن َّ هذا وهم قد سرى بين الدارسين قديما ً وحديثا،فالقائلون بهذا الرأي أرادوا أن يرفعوا من شأن

الكوفيين بمقابلة أبي جعفر الرؤاس ي وشيخ العربية الخليل بن أحمد،والحقيقة أن َّ النَّحو الكوفي لم يبدأ حقيقة إال على

يدالكسائي الذي نقله نقلة ً تضاهي النَّحو البصري.

أما الدكتور شوقي ضيف،فيؤيد قول أبي حاتم: وكان بالكوفة نحوي يقال له أبو جعفر الرؤاس ي،وهو مطروح

العلم ليس بش يء،إنما يبدأ النحو الكوفي الحقيقي بالكسائي وتلميذه الفراء (ت227هـ)،فهما اللذان رسما صورة النحو

ووضعا أصوله، َّوأعداه بحذقهما وفطنتهما؛ لتكون له خواصه التي يستقل بها عن النحو البصـري،مرتبين لمقوماته،

ومدققين في قواعده،ومتخذين له األسباب التي ترفع بنيانه(19).

أما عبد العال مكرمفقد رد مقولة أبي حاتم عن الرؤاس ي إلى الحسد والحقد،وأن َّ العظماء دائما ً ال يسلمون من

ألسنة الحاقدين،وذم الحاسدين ومن هؤالء الحاسدين أبو حاتم،فقد قال: كان بالكوفة نحوي يقال له أبو جعفر الرؤاس ي

وهو مطروح العلم ليس بشـيء،وأهل الكوفة يعظمون من شأنه،ويزعمون أن َّ كثيرًا من علومهم وقراءاتهم مأخوذة عنه،

ورواية أبي حاتم تدل على التعصب المذهبي(20).

الذي يؤيدرأي الدكتور عبد العال من أن َّ أبا حاتم قد قال ما قال إنما هو من باب التعصب والحسد والحقد،

إقرار أبي حاتم نفسه أن َّ أهل الكوفة-وهي شهادة للرؤاس ي-يعظمون من شأنه ويأخذون عنه علومهم وقراءاتهم،ويبدو أن

تعظيمهم إياه ال يأتي من فراغ،وال ينبع من ضعف،إال إذاكانت تلك الروايات التي ترفع من شأنه مشكوك في صحتها.

ونختم الكالم في الرأي األول القائل: بنشأة النحو الكوفي على يد الرؤاس ي،وأن َّ بداية الخالف بدأ به والخليلبرأي

الدكتور هاني فخري،فقد عقب على ذلك قائال:«إن تحديد نشأة المذهب الكوفي بالرؤاس ي ومن ثَم َّ نشأةالخالف بين

المذهبين البصـري والكوفي نشأ به وبالخليل أمر لم يقره البحث العلمي؛ ألنَّالرؤاس ي لم ترد له آراء نحوية في كتب النحو،

والقول:َّ إنالخليل أفاد من كتابه فدون منه تلميذه سيبويه في كتابه(الكتاب)أمر ال يمكن األخذ به؛ ألن َّ االدعاء أن سيبويه

المطلب الثاني-أسبابالخالف النحويومؤثراته

1.مؤثرات سياسية:

يمكن رد أسباب الخالف النَّحوي إلى المؤثرات السياسية،فمنذ أن نشأت البصـرة والكوفة بأمر من الخليفة

الراشد عمر بن الخطاب-رض ي الله عنه-وهما كالبلد الواحد،ال يُكدِّر صفوهما ش يء إلى أن حدثت موقعة الجمل،فآثر

اإلمام علي بن أبي طالب-رض ي الله عنه-الكوفة عاصمة له،وانظم أهل البصرة إلى السيدة عائشة وطلحة والزبير(23).

وعندما انتهت الحروب بينالمدينتينتركت تلك الحروب نزاعًا وتخاصمًا وتنافسا ً بين أبناء البلدين،ثم جاءت

دولة بني أمية،فكانت البصرة أموية االنتماءظاهرتها و ناصرتها،والكوفة على حتف ومضض تتقبل ضغط األمويين عليها؛

لقسوة األموية وصرامتها،ثم جاءت الدولة العباسية على أنقاضهاوكان مبدأ ظهورها في الكوفة،ومن ثَم َّ مال أمراء بني

العباس إلى الكوفيين(24).

وهو ما وَلَّد نزاعا ً وعصبية بينالمدينتين،وقد امتد َّ هذا النزاع والتنافس إلى العلماء،فقد أُلِّفت كتب في ذلك منها

كتاب (فخر أهل الكوفة على البصـرة)(25).َّ

وهذا الخالف قد امتد إلى النحويين يختلفون فيما بينهم اتجاها ً واجتهادا ً في مسائل كثيرة،وهو ما يبين أن َّ للعوامل

مؤثرات البيئة اللغوية:

أثبتت الدراسات النَّحوية أن َّ البصـرة كانت أسبق من أختها الكوفة في وضع علم النحو واإللمامبه وبقواعده،فقد

بدأ النحو في البصـرة بعد انتشار اللحن على األلسنة،وقد ذكر ياقوت الحموي رواية أبي األسود الدؤلي (ت19هـ) المشهورة

حين دخل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رض ي الله عنه ـ وهو مطرق مفكر بسبب تفشـي اللحن،وبعد أن سأله أمره

اإلمام أن يضع علمالنحو(26)،وهذه الرواية تشير إلى قدم وسبق أهل البصرة في وضع النحو